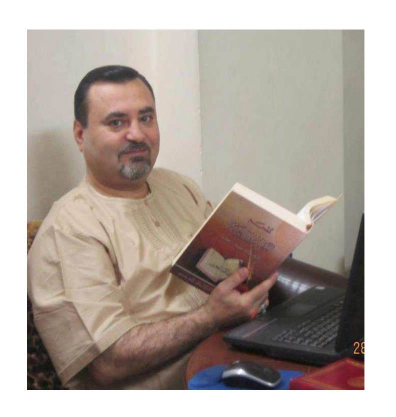


جريدة"الوقت" البحرينية
المحاور:الأستاذ نادر متروك
2007/2/8

# القرءان
# ودوره النهضوي

الباحث
سامر إسلامبولي

# في حوار مع جريدة"الوقت" البحرينية1/1

# المشكلة في العقلية السلفية وليست في القرآن

**الوقت – أجرى الحوار نادر المتروك 1/1**

**الباحث السّوري سامر إسلامبولي، عناية مركّزة في دراسة النصوص التأسيسية للإسلام، وتحديداً القرآن الكريم، ونصوص السّيرة النبوية ومتعلقاتهما، وذلك من منطلق إيماني بحت، فهو يؤمن أن المسلمين أقاموا حضارتهم المتقدّمة، التي كانت نواةً لحضارة الغرب؛ انطلاقاً من آلية التفاعل مع النصّ القرآني، وبحسب الإمكانات المعرفية المتوافرة حينئذ. ويذهب إسلامبولي أن مشكلة النصّ القرآني اليوم مُتأتية من العقل السلفي، وأمراض الاتباعيّة، التي لا تُهيئ الأرضية المناسبة للتفاعل المناسب مع القرآن. وفي حين يؤكّد إسلامبولي على خصوصية القرآن، وأنها نابعة من بُنيته ذاتها، فإنه ينتقد مشروع محمد أركون في مقاربة القرآن، والإيمانيات، ويراه مشروعاً فاشلاً. الجزء الأول من الحوار يُركّز على جملة من القضايا الخاصة بدور القرآن، وتأثيره النهضوي، ومعنى الاكتمال، والخاتمية التي جاء بها.**

## القرآن.. الموقع والدور

**1س– نادر المتروك: ليس من الإفراط؛ ولا الاختزال، القول بأن القرآن الكريم يحتلّ مركزًا محورياً داخل الحضارة الإسلامية. ما هو البُعد/ الأبعاد؛ التي تُؤهل نصّاً لغوياً ليحظى بهذه المحورية ؟**

ج – **سامر إسلامبولي:** النصّ اللساني حتى يصيرَ محوراً لثقافة مجتمع ينبغي أن تتحقق به عدة أبعاد، أهمها:

– **بُعدٌ غيبي** متمثلاً بتعالي وعظمة الجهة التي صدر النص منها.

- **وبُعدٌ إيماني**، متمثلاً بإيمان الناس بالبُعد الغيبي للنص.

- **وبُعدٌ فكري فلسفي** متمثلاً باحتواء النص للأجوبة عن الأسئلة الفطرية الثلاثة [كيف،لماذا،أين].

- **وبُعدٌ تعبدي** متمثلاً بإشباع غريزة التدين عند الإنسان، التي تظهر من خلال استخدام النص في إقامة الشعائر التعبدية، والخشوع والذكر والخوف والدعاء والابتهال والتعظيم.

- **وبُعدٌ نفسي** متمثلاً بحصول السعادة والسرور من جراء تفاعل الإنسان مع النص.

ويُضاف إلى الأبعاد السابقة بالنسبة للنص القرآني:

**بُعدٌ نهضوي، وبُعدُ الكمال والصلاحية، وبُعدٌ علمي.**

2 س– نادر المتروك: **كيف يمكن توضيح أن تقوم حضارة كبرى، وتزدهر على مدى قرون؛ وتُنتج إسهامات معرفية وحضارية؛ انطلاقاً من نصّ يُقال بأنه يتميز بالرمزية والكثافة اللغوية، والإشارية العامة؟**

ج – **سامر إسلامبولي:** لقد استطاع العرب المسلمون إنشاء حضارة كبرى ازدهرت على مدى قرون، وأنتجت إسهامات معرفية، وحضارية، كانت بذوراً ونواةً للحضارة الغربية فيما بعد. وهذه النهضة والحضارة لم تنشأ من النصّ ذاته، بدليل أن النص مازال موجوداً الآن كما كان، ولكن المجتمع العربي والإسلامي الحالي متخلف على الأصعدة كافة ! فالنهضة والحضارة نشأت من خلال تفاعل المجتمع العربي الأول مع النص القرآني بصورة واعية حسب المستوى المعرفي حينئذ، فأخذ من النص القرآني منطلقاته و مرتكزاته، وأسقطها على أرض الواقع، فالنهضة لابُد لها من عاملين أساسيين، وهما: **الفكر**، **والإنسان الفاعل**، ولا يمكن أن يُستغنى عن أحدهما أبداً، فعندما تفاعل المجتمع الأول الذي زامن نزول النص مع النص الذي يحتوي على فكر كلي مستنير؛ استطاع أن يُنشئ نهضةً وحضارةً كبرى. والذي حصل فيما بعد، أن المجتمعات اللاحقة عوضاً عن

أن تتفاعل مع النص مباشرة، وتسقطه على الواقع؛ قامت بإعادة تفاعل المجتمع الأول، وأسقطته على مُعطيات واقع جديد، ومن الطبيعي ألا ينشأ نهضة أو حضارة من تفاعل سابق انتهى مفعوله، ولا بد من تفاعل حي جديد مع النص القرآني حسب الأدوات المعرفية الجديدة، عندئذ يمكن أن نعود إلى إنشاء نهضة وحضارة .

## الثابت والمتغيّر

**3س- نادر المتروك: لماذا لا يؤدي هذا النص دوره النهضوي مجدداً اليوم؟**

ج - **سامر إسلامبولي:** النص حتى يصلح للتفاعل الجديد لكلّ مجتمع؛ ينبغي أن تكون بنيته قائمة على الثابت والمتغيّر، ليضمن التواصل والتطوّر، لذلك أتى النص المتعلق بالجانب المتغيّر بصيغة الرمز والإشارة، ليُغطي ويواكب المستوى المعرفي لكلّ مجتمع، ويظهر مصداقيته بواسطة العلم من خلال الآفاق والأنفس في كلّ مجتمع، وهكذا تتوالى وتتراكم شهادات المصداقية للنصّ القرآني في كل مجتمع،{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } فصلت(53)، **فالمشكلة ليست في النص القرآني، وإنما في عقلية الإنسان الحالي، والثقافة السلفية الماضوية، التي تحكم المجتمع**، فنحن نعاني من أمراض اجتماعية خطيرة، متمثلة بإتباع الآباء، والأكثرية، والنظرة الأحادية للأمور، ورفض الآخر، وعدم التعايش معه، واحتكار فكرة الخلاص، والنجاح في الدنيا والآخرة، وغياب المنهج العلمي في التعامل مع الأمور، ونفي مفهوم الأسباب والعلل في حصول الأحداث، وغير ذلك من الأمراض والآفات الاجتماعية. فالدور النهضوي الآن مناط بتفاعل الإنسان، وبصورة علمية وواعية مع النص القرآني، وفهمه من خلال إسقاطه على محله من الخطاب، مستخدمين في ذلك أرقى الأدوات المعرفية، التي وصل إليها المجتمع الإنساني.

**4س– نادر المتروك: كيف تفسّر تراجع التعاطي النهضوي مع النصّ؟ أهي الدورة الخلدونية، أم الترتيبات والاستحقاقات الموضوعية الضاغطة؟**

ج – **سامر إسلامبولي:** هلاك الدول؛ أمر غير محدّد بزمن معين، أو بتوالي عدة أجيال، وإنما هو قانون إلهي يحكم حياة وموت الأمم، من خلال تعاطي هذه الأمة لمعطيات قانون الحياة أو الموت، فيمكن للأمة أن تُطيل عمرها النهضوي من خلال الأخذ بقوانين استمرار النهضة، فالأمة التي يسود فيها القانون المؤنسن ويحكمها مؤسسات مدنية تحفظ حقوق الإنسان وحرياته، وتمكنه من القيام بواجباته، وتستخدم العلم في بنية المجتمع، يطول عمرها، وتدفع عن نفسها قانون الموت من أن يطولها عاجلاً، وذلك من باب؛ **دفع أقدار الحق بالحق للوصول إلى الحق.**

فالأمة؛ هي التي تختار السير في طريق الحياة أو الموت، ولا علاقة للأحداث السياسية والمؤامرات والضغوط العالمية في عدم نهضة أمة معينة، فلولا القابلية للاستعمار، والمرض الذي ينخر في جسمها لما تحلل المجتمع وتفكك. فالنهضة تكون من داخل الأمة من خلال بعث فكر كلي نهضوي يحمله المجتمع، ويتفاعل معه، ويتحول إلى الفاعلية لذلك قال تعالى: { إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ } الرعد(11)، **والتغيير؛ لا يكون بقطع الرؤوس، وإنما بتغيير ما بالنفوس من مفاهيم الحقد، والكره والعداء، والأنانية، ليحلّ محلها مفهوم الحب، والسلام، والتعايش، والتعاون والتماسك، في عملية عمران الأرض، والخلافة فيها للوصول إلى سعادة المجتمع بكل أطيافه، وتحقيق الأمن والعدل له.**

## القرآن: النص، والعلوم الحديثة

**5س– نادر المتروك: كيف يمكن التفريق، أو التمييز بين نص أدبي جميل (هو بشري في النهاية)، ونص آخر مقدس؟**

ج- **سامر إسلامبولي:** إن التمييز بين نص أدبي، وآخر مقدس، يبدأ من مسألة الإيمان أولاً بمصدرية النص، وإذا حصل هذا الإيمان بقدسية النص من خلال البرهان العقلي العلمي عليه؛ لم يعد الأمر متاح للمقارنة بين نصّ إلهي، وآخر بشري على الأصعدة كافة. رغم أن الصور الأدبية الجمالية ليست مقصداً بحد ذاتها في النص الإلهي، وإنما تمّ استخدام أرقى أسلوب أدبي فني لصياغة النص المقدس ليحتوي مضموناً مقصوداً من قبل الإله العظيم. وصار النص المقدس بهذه المواصفات مقياساً ومعياراً، يتم على موجبه قياس مدى رقي، وعلو النصوص الأدبية البشرية مع بقائها دونه بصورة دائمة.

6 س- **نادر المتروك: وهل يمكن، أو يصح، تطبيق إمكانات عالم النصوص الحديثة (الشعرية، الأسطورية..) على النصوص المقدسة؟ هل بالإمكان اكتشاف عناصر داخلية مميزة لمستوى وعالم النص المقدس؟ وما هي الوسائط المنهجية التي يحق لنا من خلالها قراءة النصوص المقدسة بوصفها نصوص أديان لا نصوصاً أدبية؟**

ج- **سامر إسلامبولي:** لا يصحّ تقويم وقياس النص المقدس بمعايير أدبية وضعية متغيرة، لأنه ليس نصاً أدبياً أصلاً، ولا يهدف هذا الجانب، وإنما يهدف الهداية للناس والنهضة بهم. والنص القرآني قد احتوى في بنيته وسائط منهجية، يمكن أن يستخدمها الباحث في دراسته إذا اكتشفها، لأن النص القرآني متميّز في بنيته وتناوله للأمور، ومن أهم الوسائط المنهجية في القرآن هي ربط الخطاب القرآني بمحله من الواقع، فهو يدفع الباحث إلى النزول إلى الواقع ليعلم مصداقية النصّ القرآني من خلال تطابق الدال مع المدلول عليه للوصول إلى الدلالة العلمية، وفي حال لم يتم التطابق بين الدال والمدلول عليه، يطلب النص القرآني من الباحث إعادة البحث مرة أخرى، وتغيير طريقة البحث، والحصول على أدوات معرفية أدق وأرفع مستوى من الأولى، وتغيير طريقة نظرته إلى النص، ومتابعة البحث، وهو على ثقة أن المطابقة أمر لازم إيمانياً، وعلمياً وإلاّ انتفى عن النص صفة القداسة لاختلافه مع محل الخطاب من الواقع. وهذا لا يمكن أن ينطبق على

كلام الله ﷻ أبداً، لأن المتكلم عن الفعل هو الفاعل نفسه. وموضوع إيجاد الوسائط المنهجية لدراسة النصّ المقدس موضوع كبير جداً، ويكفي ما أشرت إليه من وجود ذلك في بنية النص ذاته، فالله ﷻ أنزل مفاتيح النص مع النص ذاته، وهذا ينطبق على النص القرآني فقط، كونه نصاً إلهياً نزل بلسان عربي علمي قائم -أيضاً- على الثابت والمتغير، واستخدم أصوات عربية علمية لها مفهوم فيزيائي في الواقع، وبالتالي انتفى عن اللسان العربي ظاهرة تطابق لفظين مختلفين التي اشتهرت خطأً باسم الترادف، وقام على قاعدة: إذا اختلف المبنى اختلف المعنى، ومن الطبيعي أن ينتفي عنه أيضاً المجاز، لأنه أسلوب خلاف الحقيقة، بينما لابد من وجود التطابق بين لفظين في الاستخدام الإنساني ضرورة لأنه يستخدم الأصوات العربية بصورة اعتباطية، ويحتاج في كلامه للمجاز لقصوره عن التعبير عن الحقيقة كما هي.

لذا؛ النص القرءاني هو الوحيد الممكن قراءته قراءة معاصرة متجدّدة حسب الأدوات المعرفية المتنامية.

## النصّ والخطاب

**7 س- نادر المتروك: تطرح الألسنية الحديثة مفهومَي النص والخطاب، وبعض الباحثين يُقيم تفريقاً بين النص القرآني، والخطاب القرآني، مفضلاً استخدام الثاني لوصف مرحلة التلفظ الأولية للقرآن من قبِل النبي ﷺ، ولاشك أن لهذا الاستخدام لحظات انتربولوجية ونفسية على ضوء التمييز الواقع بين الخطاب الشفهي والخطاب الكتابي، وما ينتجه كِلا الخطابين من فهم وذاكرة وعقل متفاوت. فما هو رأيكم بهذه التفرقة؟ وهل ترونها مُجدية على صعيد القرآن، وظاهرة الوحي الإلهي عموماً؟**

ج - **سامر إسلامبولي:** لاشك أن وقع دلالة مفهوم الخطاب، أقوى على النفس من وقع مفهوم النص، وذلك لأن مفهوم الخطاب يدل على وجود متكلم، وآخر مُخاطَب،

مما يُعطي للخِطاب صفة الحياة، ويَشعر المخاطَب بالمسؤولية، ويشارك المتكلم إلى حدّ معين بصياغة المفهوم، بينما مفهوم النصّ يدل على السكون، وغياب المتكلم، وانتفاء التفاعل معه، ويَشعر القارئ للنص أنه يُملى عليه إملاءً. أما ربط مفهوم الخطاب بالمرحلة الزمنية الأولى التي نزل النص فيها؛ فأنا أرى أنّ الخطاب مستمر لكلّ الناس عبر الزمان والمكان من خلال وجود وحفظ الرسالة الإلهية الموجهة لكل الناس، لذا؛ ينبغي التعامل مع الخطاب القرآني بصورة فاعلة، لأنه حقيقةً هو موجّه لنا، ومطلوب من كلّ إنسان ومجتمع أن يتفاعل معه، وكأنه نزل الآن علينا، ومطلوب منا تنزيله على أرض الواقع عملياً حسب معطيات الواقع، وترتيبه حسب سُلّم الأولويات والحيثيات التي نعيشها، وقد صدق من وصف الخطاب القرآني؛ بأنه خطابٌ حييٌ، و من حيٍ إلى أحياء.

## القرآن والمشروع الأركوني

**8 س- نادر المتروك: السعي قائم اليوم لإدخال القرآن في ميدان البحث التاريخي والانتربولوجي والألسني الحديث. أبرز الأمثلة على ذلك ما نجده عند (محمد أركون) فيما يُسميه بالإسلاميات التطبيقية، وهو يُطبق هذه المنهجية على كافة خطابات الوحي، معتقداً أن ذلك هو الطريق لإنهاء تاريخ الكراهية بين الأديان. ما هي أسس ومنطلقات المشروع الأركوني؟**

ج- **سامر إسلامبولي:** إن أهم أسس مشروع أركون في عملية نقد العقل الإسلامي تبدأ من نفي وجود مسلمات إيمانية، وإعادة كلّ المسائل للدراسة مرة ثانية بواسطة الأدوات المعرفية الحديثة مجتمعةً، وخاصة علم اللسانيات. وقد قام فعلاً في تطبيق ذلك على النص القرآني مستفيداً من مدرسة الاستشراق الألمانية بقيادة العالم "نولدكه" وجماعته، ووصل إلى أن النصّ القرآني قد تمّ تقديم أو تأخير بعض نصوصه عن مكانها الأصلي، وزحزحة بعض النصوص إلى سور أخرى لا يحتملها السياق اللغوي من حيث

الأحداث،-كما زعم -وقد ذكر أن الأمر أكبر من ذلك بكثير كونه قد اطلع على دراسات هذه المدرسة الاستشراقية، وقد أصابه الذهول والعجب مما رأى !

لذا؛ يرى أركون، أن الأمر الديني برمته، من وجود الله؛ إلى ظاهرة الوحي، ونزول الرسالات، وإمكانية وجود اليوم الآخر، وما سوى ذلك من الغيبيات؛ ينبغي أن يُعاد دراستها في التراث الديني الإنساني كله دون استثناء، في كلّ اللغات المكتوبة، وعند كل الملل، والطوائف للوصول إلى فكر إنساني علمي موحّد!.

## مشروع فاشل

**9س- نادر المتروك: وهل استطاع هذا المشروع أن ينجز عطاءً علمياً في مقارباته للقرآن الكريم، حيث ينظر إليه باعتباره يمثل بنية أسطورية؟**

ج- **سامر إسلامبولي:** لقد قام أركون بنقض كثير من المواضيع الإسلامية دون إيجاد بديل لها، فإلى هذا التاريخ لم يكتب بحثاً إيجابياً يدفع الأمة إلى النهضة والبناء، وإنما يكتفي بالنقض ويطالب المثقفين الإسلاميين بتعلم بضعة لغات ودراسة التراث الإسلامي كله، ومن ثم نقده. فمشروع أركون، هو مشروع على الورق فقط، لا واقع له، ويحتاج إلى جيوش من الباحثين والعلماء في كافة الاختصاصات، ومئات من السنوات للقيام بهذا العمل !، والذي ستكون نهايته الفشل ! لأنه وَهم على أرض الواقع، ولن يتم حسم الأمر، لأنه مرتبط بحرية الإنسان وإيمانه، **والمشكلة ليست في ثبوت هذه القضايا أم لا، وإنما المشكلة بالإجرام والاستبداد والاستعباد والاستعلاء**. مع العلم أن قضايا الإيمان قد تمّ الحكم على قطعية وجودها وأحقيتها في كلّ مجتمع عبر الزمان بما يناسب أدواتهم المعرفية، وظهر لهم اليقين والمصداقية في الواقع، وعندما جاء المجتمع اللاحق أخذ هذه الحقائق إيماناً؛ وأعاد أيضاً البرهنة عليها حسب المستوى المعرفي له، فأضاف شهادته لشهادة من سبقه، وهكذا تتراكم البراهين على مصداقية هذه الأمور من مجتمع إلى آخر بما يقيم الحجة كاملة على كل مجتمع كما أخبر الرب تبارك

وتعالى{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} فصلت(53)، ولكن المجرمين يغطون الحقيقة ويجحدونها قال تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ }النمل(14).

لذا؛ أنا أرى أن مشروع أركون دعوة للضياع، والتشكيك في كل الثوابت، ومحاولة إثباتها مرة ثانية، وهكذا تستمر المجتمعات بإثبات ما هو ثابت، وبالتالي يبقون طوال عمرهم يجترّون الأدلة، والجري خلف كلّ جديد من العلوم الناشئة، وسوف يتجاوزهم قطار النهضة، ولن يعملوا شيئاً أبداً. وهذا لا يعني أن لا أستفيد من الأدوات المعرفية الحديثة والعلوم الإنسانية، بل الواجب علينا أن نواكب؛ بل ونساهم في دفع عجلة التقدّم والرقي في كافة العلوم، ونستخدمها في عملية النهضة بالإنسان.

## خلود القرآن والاكتمال

**10س– نادر المتروك: آية الإكمال في القرآن الكريم {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} المائدة(3)، تُعد عند المفسرين كاشفةً عن حقيقة الإسلام بكونه ديناً كاملاً وخاتماً. ما المقصود بإكمال الدين الوارد في الآية القرآنية هذه، هل هو كمال من حيث المضمون؛ بمعنى أنه تضمّن كل شيء، أم هو متعلق بمسألة إبلاغ كل ما كان يجب على الدين الكامل إيصاله للإنسان، كما يذهب إلى ذلك الشيخ محمد مجتهد شبستري، أم أن هناك معنى آخر لهذا الكمال؟**

ج – **سامر إسلامبولي:** إن كلمة الإكمال تدلّ على أنّ الشيء المعني باكتماله هو أمر قد تمّ الابتداء به سابقاً، وهذا مشاهد ومعلوم في الواقع من كون أن الإسلام دين الله الذي ارتضاه للناس جميعاً، بدأ نزوله منذ أول رسول أرسله الخالق إلى الناس، سواء

أكان نوحاً (عليه السلام) أم من قبله، واستمر نزول الشرع الإسلامي مع بعثة كل رسول جديد بجانب نزول شرع قومي عيني ظرفي خاص لكلّ قوم حسب معطيات واقعهم، فإذا تغيّر الواقع وتطوّر في اتجاه النهضة والمعرفة اقتضى ذلك بعثة رسول جديد ينزل عليه بعضٌ من الشرع الإسلامي، ليضاف إلى ما سبق، ويتم رفع بناء الشرع الإسلامي مع تقليص وتعديل و نسخ أجزاء من الشرع القومي العيني، وهكذا استمرّت حركة الشرع بمحوريه الإسلامي، والتاريخي، فالإسلامي يتم نموّه نحو الإنسانية والعالمية، والشرع التاريخي يتقلص ويتم نسخه تدريجياً، إلى أن تم اكتمال بناء الشرع الإسلامي، فاقتضى ذلك إزالة كلّ الشرع التاريخي المرتبط بالقومية والعينية ليحلّ محله بصورة كاملة الشرع الإسلامي ذو الصفة الإنسانية والعالمية، واقتضى ذلك إنهاء دور الأنبياء وتوقيف عملية بعثهم.

**11 س– نادر المتروك: هذا يعني أن الاكتمال الوارد هنا موجّه أساساً إلى الإسلام في عمومه؟**

ج– **سامر إسلامبولي:** نعم ! مفهوم الاكتمال للدين أمر موجه إلى اكتمال بناء الشرع الإسلامي، وهو نظام كلي متعلق بحركة الفرد في المجتمع، وحركة المجتمع ككلّ على أرض الواقع، وكان ذلك من خلال تشريع منطلقات ومرتكزات وخطوط ثابتة، وترك للإنسان – بصفته الفردية والاجتماعية – صلاحية التحرّك وفق المحور الثابت بحركة حنيفية تتجه دائماً إلى الأعلى منجذبةً إلى المحور الثابت كلما ابتعدت عنه تعود إليه. فالشرع الإسلامي ذو صفة إنسانية وعالمية، وهو شرع مرتبط بالكون آفاقاً وأنفساً، والكون بشقيه قائم على محور الثابت والمتغير، فالشرع نزل بذات المواصفات من كونه قائماً على الثابت والمتغير، والكون مستقر على نظامه ووصل إلى صفة الاستقرار من حيث النظام، فكان الشرع الإسلامي كذلك قد نزل بصورة مستقرة ومنسجم مع الفطرة، وتم الانسجام مع الكون لوحدة المصدر (الخالق تعالى).

**12س– نـادر المتـروك: وكيـف تقـارب الخاتميـة مـع إطـار الفهـم المتقـدّم للاكتمال؟**

ج– **سـامر إسـلامبولي:** صفة الخاتمية خاصة للنبوة، والكمال للدين، وظهر في النص القرآني مثل كمال أبجدية اللسان العربي من كونه مؤلفاً من ثمانية وعشرين مقطعاً صوتياً، استطاع الإنسان أن يستخدمها من خلال تركيبها مع بعضها بصورة متغيرة متنامية، مع وجود موت وحياة المسميات، فتموت أسماؤها معها لاستغناء الإنسان عنها، ووجود البديل المناسب نتيجة التطور نحو الأمام. فاللسان العربي – أبجدية ونظاماً– هو ثابت غير قابل للزيادة لاكتماله، بينما استخدامه في حركة متغيرة متنامية يخضع لعملية التطور والموت والحياة للكلمات. وكذلك النظام العشري الحسابي فهو نظام قد اكتمل من حيث الأسس، ولا يحتاج الإنسان لعملية الزيادة عليه بشيء، لأنه نظام يُغطي كل الاحتياجات، ويقوم الإنسان باستخدامه بصورة متغيّرة في الواقع حسب المعطيات، وكذلك اكتمال الشرع الإسلامي في واقع الحال، لم يترك للإنسان مجالاً لأن يزيد عليه في نظامه الثابت، وإنما ترك له التحرك ضمن هذا النظام بصورة متغيّرة تخضع لعملية التطور، ومن هذا الوجه تمّ ولادة مقولة : [ثبات النص القرآني كمبنى ومفهوم وتحرك المعنى ] وصفة الاكتمال مَثُلها كمثل اكتمال كأس بالماء، فمن يستطع في واقع الحال أن يزيد الماءَ في هذا الكأس الممتلئ ؟! وكذلك الشرع الإسلامي الكامل، وإن لم تصدّق ! فحاول أن تزيد فيه شرع ثابت كلي يضمن الحركة في المتغيرات، ويصلح لكل الناس عبر الزمان والمكان، ويقبله جميع المجتمعات الإنسانية دون زيادة أو نقصان أو تعديل، فإن فعلت – ولن تفعل– فنحن نقبل منك هذه الزيادة !.

## الباحث السّوري سامر إسلامبولي

## في حوار مع جريدة "الوقت"البحرينية 2/2

## الحديثُ النبوي مادة تاريخيّة لا قدسيّة لها

الوقت – نادر المتروك **2/2**

يجزم الباحثُ السّوري سامر إسلامبولي، بأن السيرة النبوية هي سيرة المجتمع النهضوي، الذي أقامه النبي الكريم، فلا يمكن استطلاع هذه السيرة إلا من خلال القرآن الكريم، الذي كتبَ سيرة النبي، كما يقول إسلامبولي، الذي يدعو إلى إعادة مقاربة السّيرة انطلاقاً من التفريق الدقيق بين مقامات النبي الكريم، ومن ذلك يفرّق إسلامبولي بين مفهومي الحديث والسنة، نافياً القداسة عن الحديث، وناظراً إليه باعتباره سبب في اغتيال العقل المسلم، حيث وُلد علم الحديث وعلم الإسناد في ظلّ ظروف أيديولوجية تحاربية بين المذاهب الناشئة. ويرى إسلامبولي أنّ الطريق الأفضل لتصحيح هذا الموروث الخاطئ هو النظر إلى التراث الفقهي الطائفي على أنه "مادة تاريخية تخضع للدراسة والعبرة واستخراج قوانين الاجتماع وحركة التاريخ" وأنّ كلّ الفاعلين في هذا التراث هم " بالنسبة إلينا أموات، فما ينبغي أن نجعل الأموات قادة لنا في أمورنا الحالية".

في الجزء الثاني من الحوار، يُفصّل إسلامبولي رأيه في موضوع السيرة، والسنة، والحديث النبوي، عارضاً لعددٍ من التحليلات النقدية للسّائد من آراء.

1س – نادر المتروك: على الرغم من ظهور معالم أولية للنقد الروائي في أوساط المحدثين الأوائل، إلا أن هناك دعوات متكررة لإعادة توظيف المكتسبات النقدية الحديثة لمقاربة السّيرة النبوية خاصة. كيف تنظرون إلى طبيعة هذه الدعوات، من حيث الخلفيات والإمكانات العلمية المتاحة ؟

ج – **سامر إسلامبولي:** السيرة النبوية ليست رواية ملحمية أو أسطورية يتم روايتها عبر الأجيال، وكلّ جيل يريد أن يعرضها بقالب أدبي يرفع من شأن صياغتها التصويرية، فهي ليست قصة مثل ألف ليلة وليلة، أو كليلة ودمنة، إنها قصة ولادة مجتمع وبنائه وترسيخ أساس النهضة والحضارة به فسيرة النبي العظيم ليست سيرة فرد واحد قَدَّمَ أموراً لمجتمعه على صعيد الاكتشافات، أو الاختراعات، أو بعض النظريات، أو بعض الانتصارات العسكرية. ومعظم منْ تناول سيرة النبي العظيم كان يكتب ما يُسمى السّيرة الذاتية للنبي، من ولادةٍ وطفولةٍ إلى مرحلة الرجولة، وزواجه وبدء الوحي، وتأريخ بعض الأحداث، وذكر الغزوات التي قام بها... إلى الوفاة. وقسم آخر توجّه إلى ما يُسمى "فقه السيرة"، فتناولَ السّيرة الذاتية، وأخذ يستنبط منها حسب المستوى المعرفي له بعض العِبر والعظات ! **فسيرة النبي العظيم هي سيرة ميلادِ مجتمع جديد نهضوي لا ينفكّان عن بعضهما، ولا يمكن أن يُدرَس أحدهما دون الآخر.**

## سيرة النبي؛ سيرة ميلاد مجتمع

2س – نادر المتروك: **ولكن كيف توضّح الدمج بين سيرة النبي، وميلاد المجتمع الجديد؟**

ج– **سامر إسلامبولي:** لقد تمّ ذلك الدمج في واقع الحال، وكانت سيرته ﷺ منطلقة من أسس ومرتكزات القرآن العظيم، مع استصحابه في كلّ خطوة في صراعه الثقافي مع الثقافة الجاهلية، فكان القرآن حاضراً بصورةٍ دائمة؛ قائداً ومعلماً وموجّهاً يقود المعركة الثقافية على أوجها دون تنازلات أو محاباة:

{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۞وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۞لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } الكافرون 1--، فدراسة سيرة النبي العظيم ؛ هي دراسة سيرة ميلاد مجتمع جديد، وهذا يقتضي استحضار النصّ القرآني، كونه القائد والموجّه والمعلم في عملية التغيير والصّراع الثقافي،

وهذا يدفعنا إلى استخدام أهم العلوم الإنسانية التي وصَلَ إليها الإنسان لدراسة النص القرآني، وإسقاطه على الواقع، للوصول إلى مجتمع نهضوي، ومن هذه العلوم: علم الاجتماع، وعلم السياسة، وعلم النفس، وعلم القانون، وعلم اللسانيات، والفلسفة وغير ذلك، وذلك من أجل التفاعل مع النصّ القرآني الذي احتوى السّيرة الحقيقية للنبي العظيم. فلا حاجة لأن يقوم أحدٌ بكتابة سيرة لهذا النبي ﷺ، بعد أن كتبها الله ﷻ، وإنما نحن بحاجةٍ إلى منْ يستخلص هذه السيرة النبوية من القرآن تحت اسم: **سيرة ميلاد مجتمع نهضوي إنساني**.

## مصطلح السنة النبوية مستحدث

**3س- نادر المتروك: نشرَ الباحثُ الشيخ (حيدر حُبّ الله ) مؤخراً دراسة أكاديمية حول "نظرية السّنة في الفكر الإمامي الشيعي"، استقصى من خلالها تطوّرات الموقف الإمامي النخبوي من السّنة، والظروف الموضوعية التي أثرت في تصنيف المواقف المختلفة. وفي حيّز أخير من الدراسة؛ تطرّق حبّ الله بشكل سريع إلى أبعاد الدّراسات الخاصة بالسنة النبوية في وسط أهل السنة والجماعة، وقد أشار إليكم باعتباركم منتجين مؤثرين في هذا المجال. ما هي الأطر المعرفية التي تعتقد بضرورتها في صدد تكوين نظرية سليمة للسنة النبوية أو السنة المعصومة؟ وهل يمكن التوفيق بين ثابت الرجوع المعياري للسنة وبين متطلبات الاجتهاد المتنوّر الذي يأخذ بالاعتبار متغيرات الواقع والأسئلة المستجدة؟**

ج- **سامر إسلامبولي**: إنّ مصطلح السنة النبوية؛ لا وجود له في القرآن بهذه الصورة الارتباطية مع النبي، وإنما وُجِدَ مُضافاً إلى الله ﷻ، قال تعالى: {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً } الأحزاب (62)، فلم يأت أيّ نص يذكر الأمر بإتباع سنة النبي أبداً، ما يدلّ على أن هذا المفهوم مستحدث، وليس مفهوماً قرآنياً! فعلى ماذا يدل مفهوم السنة النبوية عند مَنْ وضعه؟

قال الفقهاء: السنة هي المندوب مقابل الواجب.

وقال الأصوليون: السنة هي ما يصلح لأن يكون دليلاً شرعياً لاستنباط الحكم منه.

وقال أهل الحديث: السنة هي كلّ ما وردَ عن النبي من أقوال وأعمال وإقرار، وأخباره المتعلقة بحياته وشخصه وغزواته.

وقال الشيعة الإمامية : السنة هي ما ورد عن النبي والإمام المعصوم من أقوال وأعمال وإقرار.

وعندما وضع الأصوليون المصادرَ التشريعية ذكروا السنة من بين المصادر وجعلوها في المرتبة الثانية، **فقالوا: مصادر التشريع الأصلية أربعة: القرآن، السنة، الإجماع، القياس**. وعند التعامل مع مفهوم السنة نجد أن الحديث النبوي أو قول الإمام المعصوم يحلّ محلّ السّنة، **وكأن السنة هي الحديث، والحديث هو السنة ! مع العلم أنه لا يوجد في القرآن أبداً أمرٌ بإتباع حديث النبي، والموجود هو حديث الله** ﷻ، **قال** تعالى: **{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً }** النساء (87).

4 س– نادر المتروك: **ولكن ماذا تقولون في النصوص التي تدلّ في مضمونها على الأمر بإتباع سنة النبي؛ أو حديثه نحو قوله تعالى**: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } آل عمران(**31**) ؟

ج– كلاّ ! هذا النصّ لا يدلّ على سنة النبي، ولا حديثه، وإنما يدلّ على الأمر بإتباع الرسول ، وهذا الأمر بالإتباع موجه إلى الرسالة، وليس إلى شخص الرسول ! انظرْ قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ } الأنعام(151)، وقوله: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} النور(54).

**لذا؛ ينبغي فهم دلالات النصوص القرآنية بصورةٍ منظومةٍ واحدةٍ منسجمةٍ مع بعضها**، وقد تعرّضتُ لشرح النصوص التي يستدلّ بها منْ يقول بوحي السنة النبوية أو الحديث، وبيّنتُ خطأ ذلك الاستدلال في كتابَي (تحرير العقل من النقل) و( القرآن بين

اللغة والواقع). **لذا؛ ينبغي التفريق بين مفهوم السنة، ومفهوم الحديث، وعدم الدمج بينهما**.

**فالسنة**: هي الطريقة العملية الثابتة المستمرة على ما هي عليه. مثل سنة الله ﷻ في الخلق.

**الحديث**: قول جديد. مثل النصّ القرآني؛ حديث الله.

فمنْ يعتقد، ويؤمن بأن السنة النبوية وحي من الله ﷻ نجده أثناء التطبيق ينتقل إلى مفهوم الحديث النبوي ! ويتصدّر كافة أبحاثه بصورةٍ سطحية وهزلية،

فالسنة غير الحديث، ولكلٍّ مفهومه الخاص به.

## أين السنة النبوية ؟

**5س- نادر المتروك: السؤال الذي يفرض ذاته هو أين السنة النبوية؟ وبمعنى آخر أين طريقة النبي في تعامله مع القرآن وإسقاطه على الواقع؟**

ج- **سامر إسلامبولي:** قطعاً ليست السنة هي الأحاديث النبوية. نجد سنة النبي موجودة في فحوى النصّ القرآني، فقد أخذ النبي سنته من خلال تفاعله مع القرآن ذاته، وإسقاطه على الواقع، فسنة النبي انبثقت من القرآن لتعود إليه دراسةً وفقهاً وتطبيقاً، فهي منهج عقلاني علمي صاغت المنطق عند النبي حتى صار خلقه القرآن تفكيراً وتطبيقاً. فسنة النبي منبثقة من الحكمة الموجودة في النصّ القرآني، ونحن قطعاً ملزمون بإتباع الحكمة في تعاملنا مع القرآن، وهذه الحكمة لا يمكن أن نحصل عليها من خلال سيرة النبي الذاتية، لانتفاء حفظها في الواقع، غير أن النبي لم يذكر تلك القواعد والمنطلقات القرآنية أثناء علاجه للأحداث ، ناهيك عن عدم استنفاذه للحكمة والمقاصد القرآنية. فلا مناصَ من العودة إلى الحكمة الموجودة في النصّ القرآني ذاته وتفعيلها حسب الأدوات المعرفية المعاصرة .

## مقامات النبي الثلاثة

**6 س- نادر المتروك: هذا الأمر يفتح موضوع الأوضاع أو المقامات المختلفة للنبي. فكيف تنظر إلى هذا الموضوع؟**

ج – **سامر إسلامبولي:** النبي العظيم له ثلاثة مقامات ينبغي التمييز بينها:

1- **مقام بشري**: ويصْدُق عليه ما يصْدُق على البشر من مرض وموت وتناول الطعام والشراب والنكاح والنسيان والخطأ،{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً } الكهف(110).

2- **مقام النبوة**: وهو نوعان: مقام اصطفاء وعلم وهو مضاف لله، ومقام اكتسابي مجرد، ودورهما قيادة الناس ودعوتهم إلى الله ﷻ. و مقام نبي الله لا يُلغي المقامَ البشري، وإنما يُضاف له، لذلك فالعصمة في هذا المقام النبوي عصمة إرادية اكتسابية تصدر من الإيمان بالله ﷻ، والعلم به، وهي عصمة متاحة لكلّ الناس بصورةٍ نسبية، تتناسب مع المستوى الإيماني والعلمي، والنبي في هذا المقام يكون تابعاً لرسول نبي سابق يدعو إلى رسالته، ويجتهد في تفاعله معها، ويجوز تعرّضه للقتل كما حصل مع أنبياء بني إسرائيل.

3- **مقام الرسول**: وهو مقام تكليف بمهمة تلاوة الرسالة، وإبلاغها كما هي تماماً، لا يحق له الاجتهاد فيها من حيث المبنى والتلاوة،{مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ }المائدة99، و الرسول النبي القائد يعصمه الله ﷻ عن القتل لإتمام مهمته بالرسالة، ويعصمه عن الخطأ والنسيان لمادة الرسالة. فالعصمة من الله ﷻ موجهة إلى مادة الرسالة، وليس إلى شخص الرسول. ويتم حفظه من كلّ مرض نفسي، أو جسمي ينقض أو يعيق توصيل الرسالة، مثل السّحر، أو الهذيان، والهلوسة أو البرص والجذام، وأيضاً هذا الحفظ موجّه لمصلحة الرسالة، وليس إلى شخص الرسول ! (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت). فلا يوجد كائن معصوم بذاته أبداً، لا نبي ولا رسول ولا إمام ولا عالم، الجميع بشر، ويعصمون أنفسهم إرادياً من خلال إيمانهم بالله العظيم { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } .فاطر(28).

## نقاش مفهوم السنة النبوية

**7س– نادر المتروك: وعلى أي نحو ينعكس كلّ ذلك على موضوع السنة النبوية بوصفها مرجعية دينية أساسية؟**

ج – **سامر إسلامبولي:** للإجابة على ذلك، وبناءً على ما ذكرت؛ نضعُ النقاط على الحروف:

**سنة النبي**: هي المنهج العقلاني العلمي الذي استقاه من الحكمة الموجودة في النص القرآني.

**حديث النبي**: هو تفاعل النبي المرتبط بالزمكان مع القرآن مستخدماً المنهج (الحكمة) للنهضة بمجتمعه وقومه. ومن **سنة النبي أيضاً**: الطريقة الثابتة المرتبطة بالشعائر التعبّدية، وهي حصراً في توزيع عدد ركعات الصلاة التي تزيد عن ركعتين، لأن أصل الصلاة موجود قبل نزول القرآن منذ أول رسول نبي أرسله الله إلى الناس، وتواتر ذلك عملياً ، فالصلاة سنة الأنبياء ، وقد ثبت ذلك في النص القرآني. وقد بينتُ ذلك في كتابي (القرآن من الهجر إلى التفعيل). **أما حديث الرسول**: فما ينبغي أن يكون للرسول حديثٌ خاصٌ به، وإنما يقوم بتلاوة حديث الله ﷻ فقط ﴿،{مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ }المائدة99، **فنبوة محمد ﷺ لقومه فقط، ورسالته للناس أجمعين{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً }** الأعراف (158)، فمقام النبوة أمر لازم لشخص النبي ينتهي دوره بوفاته، ليأتي من بعده دور العلماء الراشدين ، أما الرسالة فهي مستمرة ومنفصلة عن شخص الرسول تماماً، ومطلوب من الناس أن يؤمنوا بها، ويتبعوها.

وبعد هذا العرض المختصر؛ لا أجد ما يُسمى بنظرية السنة النبوية، أو سنة المعصوم لدراستهما، وجعل لهما قواعداً ونظاماً ليتم التعامل معهما، فهما مفهومان مفرغان من محتواهما، وكل فئةٍ تقوم بتعبئتهما بما يخدم مصلحتها.

لذا؛ الاجتهاد والابتكار قائمان في واقع الحال لكلّ عالم رباني وباحث في أمور الدين، **لا يحكمه إلا رسالة الله ﷻ وسنته وحديثه**، وكلّ ذلك موجود في النص القرآني العظيم، القائم على الثابت، ومَنَح الإنسان بصفته الخليفة حرية التحرّك بالمتغيّرات وَفق المحور الثابت بحركة حنيفية صاعدة متطورة.

## علم الحديث.. واغتيال العقل

**8 س– نادر المتروك: تتعدّد المنهجيات المختصة في نقد الحديث، ويمكن النظر إلى جانب معين منها انطلاقاً من المدخل التكويني للحديث، فثمة منهج**

**ينطلق في مشروع النقد الحديثي على أساس علم الرجال، واستهداف سلسلة الرواة، فيما هنالك مشروع نقدي يعتمد النص أو المتن الحديثي نفسه في عملية النقد. هل ترى في هذين المنهجين وسيلة صحيحة لمقاربة الحديث مقاربة نقدية منتجة؟**

ج- **سامر إسلامبولي:** عندما تمّ تغييب النص القرآني من التفاعل معه في نهضة المجتمع كان من الطبيعي جداً أن يحلّ محله مصدرٌ آخر ليتمّ استخدامه في عملية التشريع والتبرير لسياسات الأنظمة الحاكمة، والفئات المعارضة لهم حينئذ. لذلك نجد لكلّ فئةٍ مرجعية من مادة الحديث غير مقبولة للجهة الأخرى، ونجد معظم الدراسات الفقهية قد اعتمدت على مادة الحديث، واستبعدت النصّ القرآني من الدراسة، إلا للبركة والتعظيم! وها هي كتب الفقه على مختلف أطيافها شاهدة على ما أقول. ولأن الأمر قد جرى تسييسه؛ فقد ذهبت كلّ طائفة لإضفاء على مادة حديثها صفة القداسة، ولم تكن تلك الصفة إلا بنسب الحديث للنبي ﷺ، وهذا غير ممكن لمنْ يتكلم بالحديث مباشرة، فكان لابد من عملية السند! فتمّت ولادة الإسناد باعتباره ضرورة سياسية لشرعنة الأمور، وإلزام المخالف لها وإضفاء صفة القداسة على متن الحديث، وليس ذلك إلا بعملية: (قال النبي العظيم ﷺ) فيتمّ اغتيال عقل السّامع ويتمّ إمرار الحديث، ومع توسّع تلك العملية الاغتيالية لعقل الإنسان المسلم، وتعقّد الأمور، وُلِدَ مصطلح (علم الحديث)، وصار علماً له قواعده ونظامه،( رغم أن دلالة كلمة العلم لا تنطبق عليه، والأَولى أن يُسمَّى فن مصطلح الحديث ) فزاد الأمر شراً وتخلفاً، وظهر تيارٌ يهتم فقط في دراسة الرواة (السند)، ولا يَلتفت إلى موضوع الحديث كمتن، وظهر تيارٌ آخر أضاف للاهتمام بالسند الاهتمام بمتن الحديث، ولكن بصورة تخدم مصالح كلّ فئة. والنتيجة هي بقاء

مادة الحديث محوراً للدين الإسلامي، لها الصّدارة والأولوية في واقع الحال، وقاضية ومهيمنة على القرآن والعقول.

9س- نادر المتروك: **أيعني كلامك أنك لا تمنح الحديث النبوي مرجعية قدسية؟**

ج- سامر إسلامبولي: **مادة الحديث النبوي مادة تاريخية لا قداسة لها أبداً، ومنتفٍ عنها صفة الوحي الإلهي التشريعي، وذلك لأنها نتيجة تفاعل النبي العظيم مع النصّ القرآني حسب معطيات واقعه، وحسب الأدوات المعرفية الزمكانية المتوفرة حينئذ**، وهي لذلك غير ملزمة للمجتمعات اللاحقة أبداً، ومنْ يقول بغير ذلك يكون إنساناً يُغمض عيناه عن الحقيقة ! فالحديث النبوي المنسوب قد أصابه التحريف زيادة ونقصاناً، فمنْ يقول بأنه وحي فهو يعتقد بأن مادة الوحي قابلة للتحريف، وبالتالي لا مانع عنده من ضياع بعض من الوحي! وربما الذي ضاع أكثر من الذي بقي! فكيف نُلزم بعضنا بوحي محرف !؟ بوحي قد ضاع جزء منه !؟ كيف يكون الحديث عند فئة وحياً، وعند الفئة الأخرى التي ترفضه لعلةٍ بسنده أو متنه حسب أصولهم؛ كذباً وزوراً وافتراءً!؟ كيف يكون الحديث مصدراً تشريعياً وهو مُختلف فيه، وليس محلّ تسليم من الجميع به!؟

## علم الحديث.. خدعة

10س- نادر المتروك: **ولماذا تحمل هذا الموقف الشديد في معارضة (علم الحديث)؟**

ج – سامر إسلامبولي: **إنّ علم مصطلح الحديث كذبة كبيرة، وخدعة قبيحة، فهو ليس علماً أصلاً سواء تعلّق ذلك بالسّند، أم بالمتن ، فالنتيجة واحدة: الضياع للمسلمين ، وعندما جعل المسلمون مادة الحديث النبوي وحياً ومصدراً تشريعياً أُصيبوا بالتخلف والانحطاط، وابتعدوا عن المنهج الرباني المتمثل بالقرآن** {وَقَالَ

الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَـذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً } الفرقان(30). فالنص القرآني قد احتوى الشرع الإسلامي كاملاً، كما أخبر الرب تبارك وتعالى بذلك {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} المائدة(3)، وكما أمر رسوله أن يقول {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ}الأنعام (151). فالقرآن هو المصدر الوحيد للتشريع الإلهي، وما سواه من أحاديث نُسبت للنبي، أو للأئمة، أو للفقهاء، أو غيرهم في أي زمان ومكان، هي مادة فقهية لا قداسة لها أبداً، وغير مُلزمة لأحد، وهي محاولة زمكانية مرتبطة بالأدوات المعرفية السائدة حينئذ لفهم النص القرآني صَلُح بها حالهم وارتضوها لمجتمعهم. أما نحن فقد قال الربّ جل شأنه معلماً لنا: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } البقرة (134 ). **فمادة الحديث وأقوال الأئمة والفقهاء، وغيرهم على مختلف الأطياف، مادة فرّقت المسلمين، وألقت العداوة والبغضاء بينهم ، ووقعوا في ما وقعَ فيه أهل الكتاب من الغلو والتطرف، وصار لسان حالهم هو (ولن ترضى عنك الشيعة ولا السنة حتى تتبع ملتهم قل إنّ هدى الله هو الهدى) !.**

**أما النص القرآني فهو حبل الله المتين، يُوَحّد المسلمين على كلمةٍ سواء، فالقرآن يجمعنا، والحديث يُفرّقنا، القرآن يَنشر المحبة والسلام والعدل والتعايش، والحديث يَنشر البغض والحرب والظلم، ورفض الآخر، بل؛ ذبحه باسم الدين، والدين براء منه.**

11س- نادر المتروك: **ما هي النتائج الحضارية المعاصرة لنقد الموروث الروائي للمذاهب الإسلامية؟ وهل يمكن التأسيس عليها في إحداث تقارب فكري ومذهبي؟**

ج- **سامر إسلامبولي:** ليس مطلوب منا الآن للقيام بالنهضة أن نقوم بنقد التراث كله على مختلف أطيافه! فالوقت لا يسمح بذلك، كما أنّ الأمر على درجةٍ من

الصعوبة، والوضع الذي نعيشه معروف للقاصي قبل الداني. الدماءُ تسيل، والأوطان تضيع، والخيرات والثروات تُسرق. إنّ هذا التراث الفقهي الطائفي ليس علماً حتى ينبغي أن أحصّله ومن ثم أتابع السير على ضوئه! إنه فقه ماضوي سلفي آبائي! إنه مادة تاريخية ليس أكثر، يدرّسها المؤرخون وعلماء الاجتماع بصورة موضوعية دون تقمّص لأحداث التاريخ، فنحن لم نكن مع النظام الحاكم حينئذ ، كما أننا لم نكن مع المعارضين لهم! فنحن لا نمثل أيّ أحد منهما، ولسنا امتداداً لهما! وما ينبغي أن تقوم فئة بتقمّص دور تاريخي، وتُلزم الطرف الآخر بأن يتقمّص الدور الخصم له، وتُدَق الطبول ويُنفخ في البوق ، ويُعلن النفير، وتبدأ الحرب! ويعود المجتمع المعاصر ليعيش في حالة تقمّصية جاهلية يُحيي حرب داحس والغبراء! فعملية التواصل والتعاون بين جميع الأطياف الإسلامية الحالية، هي الرجوع إلى القرآن، وتفعيله في الواقع، واستبعاد مادة الحديث من أي كائن صدرت.

**وأي دعوة لغير القرآن فهي دعوة طائفية مآلها الفشل، وسوف ينتج عنها الكره والبغضاء، والقتال في أي لحظة يقوم باستغلالها المستبدون والمستعبدون للشعوب، على صعيد الداخل أو الخارج، لذلك يقوم هؤلاء بدعم الدعوة إلى الحديث والفقه ونقد التراث، والتقارب المذهبي، وإقامة الندوات والحوارات الساخنة، التي تقطر كرهاً وحقداً!! لترسيخ التخلف والذل، وعدم قيام الأمة برفع رأسها أبداً، واستمرارها بعلك المعلوك! وتقمص التاريخ ، فالحذر، الحذر من هذه الخدع والحيل!.**

***وأنتهز هذه الفرصة التي أتاحها لي القائمين على جريدة الوقت مشكورين لأوجه نداءً إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها***

أيها المسلمون

القرآن يجمعنا {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } آل عمران(**103**) {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } الأنفال (**46**)، بينما جعل الأحاديث النبوية، وأقوال الأئمة وحياً إلهياً مُلزماً للناس، والالتزام بالتفاعل الفقهي الزمكاني للسلف، وتقمص أحداث التاريخ، يُفرقنا.

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة(**62**)، هذه هي بطاقة الدخول إلى الجنة، والفوز برضا الرب علينا.

أيها المسلمون

كلكم أبناء آدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، وأنفعكم أنفعكم للناس. فلا للطائفية ! ولا للعرقية والقومية ! ولا للاصطفاء والفوقية ! ولا للأسرة والقبيلة، ولا للعنف والإرهاب.... إنها دعوات وروابط جاهلية منتنة !، ونعم للإنسانية، والحرية، والكرامة، والعدل، والأمن، والنهضة في مجتمع يقوم على المواطنة والعناية، لا على الاستعباد و الرعاية ! .